التجديد
مجلة فكرية نصف سنوية محكمة
العدد العشرون
أغسطس 2006م
رجب 1427هـ
المجلد العاشر

محمد أبو الليث الخير آبادي*

السنة وموقف العصرانيين والعقلانيين منها
قراءة نقدية

تمهيد

حظيت السنة النبوية الشريفة، بوصفها المصدر الثاني للتشريع في مختلف مجالات الحياة، باهتمام كبير من قبل مختلف الفئات، الإسلامية منها وغير الإسلامية، دراسة وتمحيصا. وذلك إما لاستنباط منها ما يهم المسلمين في حياتهم من تعليمات ومعلومات وهو ما عليه جمهور علماء المسلمين، وإما للدفاع عنها وهو أيضا ما قام به جمهور علماء المسلمين، وإما للبحث عن منهجية في فهم جزئياتها وهو ما فعله أصحاب مدرسة "إسلامية المعرفة"، وإما لإنكارها كما فعله فرقة أهل القرآن. وحديثنا في هذه الدراسة هو عن فرقة أخرى ظهرت في العالم الإسلامي قاصدة صبغ السنة بثوب "العصرنة" ابتغاء التوفيق بين نصوص الشرع من جهة، والحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر من جهة أخرى، وهذه الفرقة تسلمت لواءها مدرستان، هما:

* أستاذ الحديث المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ودكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1992م.

1. مدرسة السير سيد أحمد خان في الهند، التي يحسن وصف روادها وأتباعها بالعصرانيين.
2. مدرسة الإمام محمد عبده في مصر، التي وصفت بالمدرسة العقلية الحديثة، فيستحسن أن نصف روادها وأتباعها بالعقلانيين.

وفي هذه الدراسة نتناول بالبيان والتحليل فكر هاتين المدرستين وموقفهما من السنة، لإطلاع القارئ على أفكارهما تجاه السنة، وبيان ما تحويه من أخطار على عقيدة المسلمين في السنة، خاصة وأن أفكارهما وجدت آذانا صاغية في العالم الإسلامي، مما أوجد فجوة كبيرة بين أبنائه، من الصعوبة بمكان ردمها أو تقليصها.

ونبدأ حديثنا بالتعريف بالعصرانيين والعقلانيين.

أ. تعريف العصرانيين

العصرانيون: نسبة إلى العصرانية، وهي كما قال الأستاذ بسطامي سعيد: "وجهة نظر في الدين، مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة".[1]

ثم علق على ذلك فقال: "فالعصرانية هي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة".[2] وقال: "عرف العالم الإسلامي في تاريخه الحديث طبقة من المفكرين تسعى إلى محاولة إيجاد مواءمة بين الإسلام وبين الفكر الغربي المعاصر، وذلك بإعادة النظر في

---

[1] سعيد، بسطامي، **مفهوم تجديد الدين** (الكويت: دار الدعوة، 1405هـ)، ص96-97، مستخلصا من المصادر التالية: البعلبكي، منير، **المورد** (بيروت: دار العلم للملايين، ط26، 1992م)، ص586.
Encyclopedia Americana (1972) V. 19, p. 289 k, *The New international Dictionary of Christian Church*, p. 668.

[2] سعيد، **مفهوم تجديد الدين**، ص96-97.

تعاليم الإسلام وتأويلها تأويلا جديدا".[1]

فالعصرانيون فئة من المفكرين تسعى إلى محاولة إيجاد مواءمة بين الإسلام والفكر الغربي المعاصر، وذلك بإعادة النظر في تعاليم الإسلام وتأويلها تأويلا جديدا في ضوء معطيات ذلك الفكر.

ب. تعريف العقلانيين

العقلانيون: نسبة إلى العقلانية المنسوبة إلى المدرسة العقلية، وهي كما قال الشيخ سلمان بن فهد العودة: "اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتا كبيرا في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل".[2]

فالعقلانيون هم: الذين تبنوا وجهة التوفيق بين النصوص الشرعية من جهة، والثقافة والفكر الغربيين من جهة أخرى، بتأويل النصوص تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين.

ومما سبق يتبين أن العصرانية والمدرسة العقلية الحديثة أو العقلانية اسمان لمسمى واحد، إلا أن العصرانية يصح إطلاقها على مدرسة السير سيد أحمد خان بوصفه رافعا لواءها في الهند، كما يصح إطلاق اسم المدرسة العقلية على مدرسة محمد عبده

---

[1] المصدر السابق، ص119.

[2] العودة، سلمان بن فهد، **حوار هادئ مع محمد الغزالي** (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، ط1، 1409هـ)، ص9.

بوصفه حاملا لواءها في مصر.

رواد العصرانيين في الهند وموقفهم من السنة

1. السير سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكراه الإسلامية في الهند

يعتبر السير سيد أحمد خان (1817-1898م) رائد تيار العصرانية في العالم الإسلامي؛ لأنه أول رجل في الهند الموحدة يقرر ضرورة اجتراح تفسير جديد للإسلام، تفسير يجاري التقدم والحداثة. ولم يكن هذا المفكر أول ممثل للنزعة العصرانية فحسب، بل كان نموذجا كاملا لها، وكل الذين جاؤوا بعده لم يضيفوا شيئا جديدا ذا بال، بل كانوا يعيدون صياغة أفكاره بصورة أو أخرى.

يقول الدكتور محمد عبد المنعم النمر عن سيد أحمد خان وآرائه: "ظهر أن الجدل الحامي الذي ثار بينه وبين العلماء حول موقفه السلمي المعاون للإنجليز، ودعوته إلى الاغتراف من ثقافتهم، جره إلى هذا الموقف الحرج، فقد برم بالعلماء وآرائهم في الدين، فأخذ هو الآخر يبدي فيه آراء حديثة له تتفق وعقليته واتجاهه، وزاد فأقدم على تفسير القرآن متخذا من عقله هو أساسا لهذا التفسير، غير ملتزم للألفاظ ودلالتها، ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مر الزمن، فأنكر الجنة والنار والملائكة والجن، وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء، ويستهزئ بالمحدثين وبالشعائر الإسلامية، فهيج الرأي العام ضده، وزاد في هياج الرأي العام المسلم وتشديد النكير عليه من العلماء حتى حكموا بكفره، لما قرره في تفسيره من أن القرآن نزل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده".[1]

ويقول السيد أبو الحسن علي الندوي: "أما القيادة الثانية فهي التي تزعمها السيد أحمد خان على أساس تقليد الحضارة الغربية، وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها وعلى علاتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيرا يطابقان به ما وصلت إليه

---

[1] النمر، محمد عبد المنعم، **كفاح المسلمين في تحرير الهند** (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1384هـ)، ص44-45.

المدنية والمعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر المسيحي، ويطابقان هوى الغربيين وآراءهم وأذواقهم، والاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة، ولا تقرره علوم الطبيعة في بادئ النظر من الحقائق الغيبية وأمور ما بعد الطبيعة".[1]

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي: "ما أن حل القرن الثالث عشر الهجري حتى دبت الحياة في فتنة إنكار حجية السنة من جديد...، وإن بدايتها لترجع في الهند إلى سيد أحمد خان ومولوي جراخ علي (Cherag Ali)، ثم كان فارسها المقدام مولوي عبد الله جكرالوي (Chakralawi)، ثم استلم الراية مولوي أحمد الدين الأمرتسري، ثم تقدم بها مولانا أسلم جيراجفوري (Jairaj puri)، وأخيرا تولى رياستها غلام أحمد برويز (Parwez) الذي أوصلها إلى حافة الضلال".[2]

ويقول الدكتور خادم حسين إلهي بخش: "وأفكار السيد أحمد وجراغ علي هي التي مهدت الطريق أمام القرآنيين ليعلنوا عن خبايا نفوسهم من إنكار السنة كلها، وأخذوا يدعون إليها كحركة علمية ثقافية تقدمية، فاغتر بالانضمام إليها بعض البله ومن لا صلة لهم بالعلوم الدينية من العامة والمثقفين".[3]

ومن عجيب الأمر أن السيد جمال الدين الأفغاني وصفه بالدهري والعميل للإنجليز لنيل فائدة دنيوية منهم، فعرض نفسه لتفريق كلمة مسلمي الهند، وكان بناء المدرسة المحمدية آنذاك والتي سميت فيما بعد بـ"جامعة علي كراه الإسلامية" إحدى حلقات هذا الهدف.[4]

هذا ما قاله بعض العلماء المعاصرين عن سيد أحمد خان وعن آرائه واتجاهاته العامة. وأما آراؤه في السنة والحديث بصفة خاصة فتتضح مما سجله بقلمه في العديد من

---

[1] الندوي، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية** (القاهرة: مطبعة التقدم، ط3)، ص71.

[2] المودودي، أبو الأعلى، **سنت كي آئيني حيثيت** (لاهور: مطبعة نور عالم، ط4، 1977م)، ص16.

[3] إلهي بخش، خادم حسين، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة** (الطائف: مكتبة الصديق، ط1، 1989م)، ص100.

[4] الأفغاني، السيد جمال الدين الحسيني وعبده، محمد، **العروة الوثقى** (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002م)، 137، 432-433.

كتبه. وقد استغرقت بحوثه عن السنة والأحكام الواردة عن طريقها الجزء الأكبر من مقالاته الدينية، واعتبر القرآن وحده الأساس لفهم الإسلام مستشهدا بقول عمر بن الخطاب ﷺ: "حسبنا كتاب الله"،[1] ومخرجا له عن سياقه الذي رد فيه. وهو يرى أنه في ضوء الظروف الجديدة وتوسع المعرفة الإنسانية، لا يمكن الاعتماد في تفسير القرآن على التفاسير القديمة وحدها التي اشتملت -في نظره- على كثير من الخرافات، ولكن يمكن الاعتماد على نص القرآن وحده الذي هو بحق كلمة الله، حيث يمكننا من خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية أن نفسر القرآن تفسيرا عصريا. وأما آراؤه في السنة فهي:

أولا: الأحاديث لا يمكن الاعتماد عليها، ولا الاحتجاج بها، وذلك لما يحوم حولها من شكوك وشبهات يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1. "ظلت الروايات بعد وفاة الرسول ﷺ تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب المعتمدة، غير أننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الكيفية التي دونت بها تلك الكتب، التي كان مبناها روايات الذاكرة ... والبعد الزمني

[1] ورد هذا القول في حديث مرض وفاة النبي ﷺ وهو: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله ﷺ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده»، فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله ...". رواه البخاري في **الجامع الصحيح**، تحقيق مصطفى ديب البغا، (بيروت: اليمامة ط3، 1987م)، ج5، ص2146، رقم: 5345 ومسلم في **الجامع الصحيح**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1954م)، ج3، ص1259، رقم: 1637. قلت: تاريخ احتجاج الصحابة بالسنة، بمن فيهم عمر ﷺ، شاهد على أنه لم يقصد منه ما ادعاه سيد خان، بل مراده كما قرر النووي حيث قال: "فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب ﷺ أمورا ربما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها؛ لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها، فقال عمر: "حسبنا كتاب الله" لقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:38]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]. ثم ذكر النووي قول البيهقي نقلا من أواخر كتابه دلائل النبوة: "إنما قصد عمر التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع، ولو كان مراده ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره"، النووي، يحيى بن شرف، **شرح صحيح مسلم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، ج11، ص90. وينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، **دلائل النبوة** (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون)، ج8، ص273، رقم الحديث 3114.

كفيل بمزج الزائد بها وإضافة الجديد إليها".[1]

2. "إنها (أي السنة) لم تدون في العهد النبوي، بل دونت في القرن الثاني من الهجرة في عصر مضطرب بالصراعات السياسية والاختلافات الدينية، مما كان له أثره في كثرة الأحاديث الموضوعة".[2]
3. "إن ما دون في كتب الحديث إنما هو ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي الصادر من شفتيه ﷺ والمعبر به، من وفاق أو خلاف، وليس من العجب أن يخطئ أحد الرواة في فهم الحديث، مما يكون سببا في ضياع المفهوم الصحيح".[3]

وبناء على موقفه هذا جعل "الأحكام المستنبطة من السنة بوجه عام أحكاما لا يجب على المسلمين اتباعها، وأن ما استخرجه العلماء من نصوصها الحالية إنما هي أحكام اجتهادية، لا نصية فيها ولا حتمية لاحتمال ألا يكون ذلك مقصوده ﷺ".[4]

4. إن المحدثين اهتموا بنقد السند والرجال، و لم يهتموا بنقد متن الحديث ومحتواه.
5. إن مهمة المسلمين اليوم هي تطبيق ما يسميه "مقاييس النقد العصري" على الأحاديث. وتلك المقاييس في رأيه هي:
   - ما يتفق مع نص وروح القرآن.
   - أن يكون الحديث هو قول الرسول بالجزم واليقين.
   - أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوي هي الكلمات النبوية بعينها.

---

[1] خان، سيد أحمد، **مقالات** (لاهور: مطبعة زرين آرت، ط1، 1962م)، ج1، ص23.

[2] المصدر السابق، ج1، ص49.

[3] المصدر السابق، ج1، ص49.

[4] المصدر السابق، ج1، ص69.

- أن لا يكون للكلمات التي أتى بها الرواة معان سوى ما ذكره الشراح.
- أن يتفق مع العقل والتجربة البشرية.
- أن لا يناقض حقائق التاريخ الثابتة.[1]

قلت: وهذه الشروط لا تتوافر إلا في الحديث المتواتر اللفظي، دون سائر السنة الصحيحة المتواترة تواترا معنويا أو عمليا، أو السنة الآحادية التي عليها مدار الأحكام الشرعية عند المسلمين، وهي التي لا اختلاف فيها عندهم.

6. لذلك فهو يقبل الأحاديث المتواترة تواترا لفظيا دون إخضاعها للنقد، ويقبل من المشهورة ما يخضع للنقد وفق معاييره السابقة. وأما أحاديث الآحاد فهو لا يقبلها مطلقا.

والأحاديث التي يقبلها على شروطه (وهي المتواترة اللفظية والمشهورة الخاضعة للنقد) يقسمها قسمين:

- أحاديث خاصة بالأمور الدينية، مثل العقيدة عن الله سبحانه وتعالى وصفاته وشعائر العبادات، فهذه ملزمة للمسلمين عنده، بحيث يجب أن يتمسكوا بها.
- أحاديث خاصة بالأمور الدنيوية، مثل الأحاديث المشتملة على المسائل السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية، وهي غير داخلة في مهمة الرسول ﷺ مطلقا، وكل ما جاء في هذا المجال فهو في رأيه خاص بظروف العرب وأحوالهم في عهد النبوة. وهذه ليست ملزمة للمسلمين؛ لأن أمور الدين ثابتة، وأمور الدنيا متغيرة. ويستدل على هذا التقسيم بحديث تأبير النخل الذي قال فيه الرسول ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».[2]

وسيأتي ردنا عليه وعلى من هذه أفكارهم فيما بعد إن شاء الله.

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص23، 40.

[2] رواه مسلم في **صحيح مسلم**، بلفظ: "بأمر دنياكم"، ج4، ص1835، رقم: 2363. وأما بذلك اللفظ فرواه ابن حزم من طريق مسلم في **الإحكام في أصول الأحكام** (القاهرة: دار الحديث، ط1، 1404هـ)، ج5، ص128.

وقد أصبح منهجه ذاك في شأن الحديث مدرسة فكرية تأثر بها تلاميذه وخلفاؤه إلى اليوم، ومن أشهر تلاميذه جراغ علي، وأمير علي، وخدا بخش الشاعر، وغلام أحمد برويز، وخليفة عبد الحكيم، ومولانا محمد علي جوهر أحد قادة الحركة الأحمدية.

2. جراغ علي وموقفه من السنة

يعتبر جراغ علي (1844-1895م) أحد أعمدة مدرسة سيد أحمد خان، فقد ارتضع من لبان تلك المدرسة، وتربى في أحضانها، وأسهم في الدفاع عن آرائها أيما إسهام، وحاول صبغ الإسلام بالحضارة الغربية مثل أستاذه، فأول نصوص الإسلام بما يتلاءم مع روح الثقافة الأوروبية. يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: "إن المستعمرين قد تنبهوا لخطورة روح الجهاد بالسيف، فشرعوا بالطعن في أحاديث الجهاد، وكان جراغ علي والمتنبي الكذاب القادياني من قادة هذه المدرسة، كما أنتجت الروح الانهزامية رجالا مثل سيد أحمد خان وعبد الله جكرالوي وأحمد الدين أمرتسري".[1]

وتتلخص آراؤه في السنة فيما يلي:

1. "إن القرآن كامل من كل الوجوه، ويواكب سير الحضارة وتطورها، ويدفع متبعيه إلى أعلى درجات الرقي والتمدن. فإن أحسنا تفسيره والتعبير عن معانيه سلك بنا هذا المسلك، وإن قيدناه بآراء المفسرين ومنهجهم، وحصرناه في الروايات فإن الوضع ينقلب رأسا على عقب، فنسير نحو الهبوط والهاوية، بدلا من التقدم ومسايرة الركب؛ لأن الروايات لم يصح منها إلا القليل، بل جلها فرضيات وأوهام للعلماء، أو أنها دلائل قياسية وإجماعية، وهذا المسلك هو ما يسير عليه قانون الشريعة والفقه، ولا شك أن مثل هذا المسلك يحجز

[1] الأعظمي، محمد مصطفى، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه** (الرياض: جامعة الرياض، 1396هـ)، ص28.

عن الرقي والتقدم ومسايرة ظروف الحياة".[1]

2. وقال: "إن المحققين الذين جمعوا الأحاديث وميزوا بين سقيمها وصحيحها صرحوا بأن الحديث مهما قوي سنده لا يمكن الاعتماد عليه، وما ذكر فيه غير حتمي قطعا، فلو أمعنا النظر في هذه الحقيقة لاضطررنا أن نقول: إن معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة لإقامتها لتمييز الحديث؛ لأن الحديث في حد ذاته شيء لا يمكن الاعتماد عليه، ولا اعتبار لما يتحدث عنه".[2]

3. ويقول في نقده للمسلمين: "إننا نضخم هالة القدسية حول النبي، وحول أقواله وأفعاله، مع أنه مجرد بشر". ثم يقول: "صحيح أن تعاليمه في الأمور الدينية واجبة الاتباع، ولكنه حين يتجرأ بالرأي في الأمور الأخرى فهو لا يعدو أن يكون بشرا".[3]

اتجاهات المدرسة العقلية الحديثة في السنة

قررنا أن نطلق اصطلاح "المدرسة العقلية الحديثة" على من حمل أفكار العصرنة في مصر. وأهم رموزها السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا. هؤلاء الثلاثة هم النواة الأولى لتلك المدرسة، وأهم روادها الذين قامت على أكتافهم بحق. وقد يشار إليهم في هذا البحث باسم "المدرسة الإصلاحية"، أو باسم "مدرسة المنار".

1. جمال الدين الأفغاني

كان السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) مفكرا إسلاميا ثوريا نشطا،

---

[1] جراغ علي، **تحقيق الجهاد** (لاهور: مطبعة رفاه عام، 1912/1913م)، ص121.

[2] جراغ علي ونواب يار جنك، **أعظم الكلام في ارتقاء الإسلام** (لاهور: مطبعة رفاه عام، 191م)، ج1، ص20.

[3] سعيد، **مفهوم تجديد الدين**، ص132 نقلا عن كتاب:

Zakara Rafiq: *Rise of Muslims in Indian* Politics: p. 242.

"صقرا محلقا"[1] حلق حول العالم، فرحل إلى الهند، ثم مصر وبقي فيها أربعين يوما، ومنها إلى الآستانة، وعاد إلى مصر ثانية، ثم غادرها إلى الهند مرة أخرى، ومنها إلى باريس، وإيران، وروسيا، ثم إلى إيران، ومنها إلى البصرة، ولندن، إلى أن حط رحاله بالآستانة في إستنبول (1892م)، وتوفي بها سنة (1897م). يقول الدكتور محمد عمارة: "اتخذ من تجديد الإسلام بعقل الفيلسوف أداة لتجديد حياة الشرق والشرقيين، واتخذ من الثورة سبيلا تصل الجماهير عن طريقه إلى مواقع السلطة والسلطان، كي تملك بيدها مصائرها، وتحرر طاقاتها، واستهدف من وراء كل ذلك أن يبعث روح المقاومة في الشرق كي يصد الغزو الاستعماري الأوروبي الذي كان آخذا في الزحف على بلاده، وشوعبه وقيمه وحضارته في ذلك الحين".[2]

أما ما يتعلق بعقيدته وأفكاره العامة في الدين فأجده صلبا على ما ورثه من أساتذته وأسرته وبلده، فهو يؤمن بالقضاء والقدر،[3] وظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام[4]، ولا يقول بالمساواة بين الرجل والمرأة،[5] وما إلى ذلك. بل إنه –كما سبق أن ذكرنا– وصف السير سيد أحمد بالدهري لأفكاره الغربية، وبأنه عميل للإنجليز حيث تولى مهمة التفريق بين مسلمي الهند على طلب منهم كما سبق أن ذكرنا، ولم أسجل عليه إلا أمرين، وهما: قوله بوحدة الأديان الثلاثة (اليهودية والنصرانية والإسلام) وأن تخالفها من صنع

---

[1] الأفغاني، السيد جمال الدين الحسيني، **العروة الوثقى**، إعداد وتقديم سيد هادي خسرو شاهي (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002م)، ص61.

[2] عمارة، د. محمد، في تقديمه **للأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده** (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1993م)، ص14.

[3] الأفغاني، السيد جمال الدين، **رسائل في الفلسفة والعرفان**، إعداد وتقديم سيد هادي خسرو شاهي (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002م)، ج1، ص79 وما بعدها. **وخاطراته**، إعداد وتقديم سيد هادي خسرو شاهي (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002م)، ص140 وما بعدها.

[4] الأفغاني، **رسائل في الفلسفة والعرفان**، ج2، ص27 وما بعدها.

[5] الأفغاني، **الخاطرات**، ص101 وما بعدها.

رؤسائها.[1] والأمر الثاني هو أن تحريم الربا يقع على ما يكون أضعافا مضاعفة.[2]

وأما موقفه من السنة أو الحديث فأنا أجده على مسلك جمهور الأمة الإسلامية، ولم يحد عنه قيد أنملة، فهو يحتج به في جميع المجالات التي احتاج للاستدلال به فيها، بدون تفريق بين المتواتر والآحاد، وبين القولي والعملي، خلافا لتلميذه الشيخ محمد عبده كما سيأتي إلا أنه من الناحية النظرية يقول بالاستدلال بصحيح الحديث، مثل قوله في خاطراته: "فمن كان عالما باللسان العربي، وعاقلا غير مجنون، وعارفا بسيرة السلف وما كان من طرق الإجماع وما كان من الأحكام، مطبقا على النص مباشرة أو على وجه القياس وصحيح الحديث، جاز له النظر في أحكام القرآن وتمعنها والتدقيق فيها، واستنباط الأحكام منها، ومن صحيح الحديث والقياس ... والحديث الصحيح والسنن ...".[3] وبجانب استدلاله بالأحاديث الصحيحة وجدته يستدل بما هو ضعيف وموضوع أيضا، فمثلا يستدل بحديث: "لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس".[4] وبحديث: "اطلبوا العلم ولو بالصين".[5] وبحديث: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد".[6] وهي ليست بأحاديث رسول الله ﷺ كما حقق العلماء،[7].[8] مما يدل على أنه

---

[1] الأفغاني، **الخاطرات**، ص180.

[2] الأفغاني، **الخاطرات**، ص163.

[3] الأفغاني، **الخاطرات**، ص151. وينظر فيها للاستدال بمطلق الحديث الصفحات التالية: 126، و205، و249.

[4] الأفغاني، **الخاطرات**، ص232. وينظر **العروة الوثقى**، ص194.

[5] الأفغاني، **رسائل في الفلسفة والعرفان**، ج3، ص94.

[6] الأفغاني، **الخاطرات**، ص266.

[7] انظر لحديث الثريا: العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، (تحقيق أحمد القلاش، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1405هـ)، ج1، ص33 رقم 53. ولحديث الصين أيضا انظر: العجلوني، ج1، ص 138 رقم397. وحديث المهد لم أجد له مصدرا.

[8] انتظر لذلك: **العروة الوثقى**، الصفحات التالية: 105، 133،135، 152، 165، 166، 193، 194، 403 **ورسائل في الفلسفة والعرفان**، ج2، ص40، ج3، ص32، 50، 94، **وخاطراته**، ص95، 104، 121، 176، 266، 282، 283، 335.

على مسلك العلماء في عصره.

إلا أن الشيخ عبد القادر المغربي يكشف عن شيء غريب عما كتبته حول منهج أستاذه الأفغاني فيقول: "ونحن نعلم من شيخنا الأفغاني أن ما آخى القرآن هو القرآن. فالحديث المتواتر هو من درجة القرآن في إثبات الحكم. وكذلك إجماع المسلمين في الصدر الأول على حكم من الأحكام العملية الماضية مع الزمن هو مما يتمشى مع القرآن، ولا سيما أعمال النبي ﷺ في حياته هو تفسير للقرآن وعمل بالقرآن فهو إذن من القرآن. فالتواتر والإجماع وأعمال النبي المتوارثة إلى اليوم هي السنة الصحيحة التي تدخل في مفهوم القرآن وحده، والدعوة إلى القرآن وحده".[1]

قلت: أنا لم أجد هذا الكلام أو ما يشبهه في أعمال الأفغاني المطبوعة، فهو يحتج بمطلق السنة أو الحديث الصحيح حسب ظنه، سواء أكان متواترا أو آحادا، وسواء أكان قوليا أو عمليا، فلا أرى الشيخ المغربي إلا أنه صاغ هذا الرأي ونسبه للأفغاني من خلال تصوره لموقف الشيخ محمد عبده.

2. الشيخ محمد عبده وموقفه من السنة

هو الإمام محمد بن عبده بن خير الله (1849-1905م)، شارك السيد جمال الدين الأفغاني في جهاده السياسي، وصاغ برنامج الحزب الوطني بمساعدة المستشرق "بلنت" (وهذا الحزب سياسي لا ديني)، ونفي من مصر، فسافر إلى باريس. ثم عاد إلى مصر بشرط عدم اشتغاله بالسياسة، فاعتزلها وتوجه إلى الإصلاح في النواحي الأخرى، وأخذ يعمل على تطويع الشريعة وترويضها حتى تتقبل الحضارة الغربية، فحصل بينه وبين الأفغاني خلاف، حيث كان الأفغاني يرى أن الثورة هي الوسيلة الأجدى والأفعل في بلوغ الغاية، وكان الإمام محمد عبده يرى أن التدرج في الإصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق هذه الغاية، وحصل ذلك بعد عودته إلى مصر بعفو

---

[1] المغربي، عبد القادر، **جمال الدين الأفغاني: ذكريات وأحاديث** (القاهرة: دار المعارف بمصر، د.ت)، ص60.

لورد كرومر عنه.[1]

كان الشيخ عبده نسخة ثانية في مصر للسيد أحمد خان في الهند، وذلك لأن الاتجاهات العصرانية التي ظهرت في كتاباته، وبالأخص في تفسيره لبعض الآيات، وفي بعض فتاواه، مما يجعل مدرسته الفكرية تضاهي وتشابه في بعض نواحيها مدرسة السيد أحمد خان في الهند، حتى أن تلميذه رشيد رضا لا يخفي إعجابه بمقالة نشرتها في ذلك الوقت جريدة الرياض الهندية، عنوانها "هل ولد السيد أحمد خان ثانية بمصر، وظهرت جريدته "تهذيب الأخلاق" بشكل "المنار".[2]

وكان لآرائه في مجال الإصلاح الاجتماعي أو الديني أثر فيمن جاء بعده، بل منهم من توصل عن طريقها إلى هدم الدين وأسسه المحكمة. كانت دعوته الإصلاحية تنتظم الأمور الآتية: تحرير الفكر من قيد التقليد، حتى لا يخضع العقل لسلطان غير سلطان البرهان، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا، ولا زعماء الدين، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، وينابيع الإسلام في سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه هي الكتاب وقليل من السنة في العمل[3]. ولما كان الثابت المتواتر من السنة قليلا، فقد صرح الشيخ في تفسير سورة الفاتحة "أنه يجب أن يكون القرآن أصلا، تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين".[4]

وانضم إلى دعوته هذه الشبان المسلمون الذين كان تعليمهم على القاعدة الغربية، وتشبعت نفوسهم بروح الثقافة الغربية بطول الاحتكاك بها أثناء دراستهم في فرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية، وراحوا يعملون على تكييف قواعد الإسلام

---

[1] عمارة، د. محمد، تقديمه لكتاب **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده**، ص21- 36.

[2] رضا، محمد رشيد، **تاريخ الإمام محمد عبده** (القاهرة: مطبعة المنار، الطبعة الأولى والثانية 1350هـ)، ج1، ص716.

[3] عمارة، د. محمد، **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده**، ص181- 183.

[4] نقله عنه محمد رشيد رضا في **تفسير المنار**، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2002/1423)، ج1، ص67.

وأصوله طبقا لمطالب الحياة الجديدة والفكر الحديث.[1]

اشتهرت حركة محمد عبده (حركة التلفيق بين الشريعة والحضارة الغربية) بعد وفاته في طبقة الأدباء المصريين أكثر من الطبقات الأخرى، لتكاثر المبتعثين العائدين من أوربا، وتوليهم المهام الصحفية من جهة والثقافية، وتشجيع الإنجليز المحتلين هذا النوع من الأدب من جهة أخرى. يقول الدكتور خادم حسين إلهي بخش ما ملخصه:

اختلفت درجات التشكيك من أديب إلى آخر، ومن جهة إلى أخرى، فقال الدكتور زكي مبارك وأعوانه: إن الرسالة أمر يمكن اكتسابه بالتضحية في سبيل الأفكار السامية. وأجيب عن هذه الفكرة بأنها فكرة استعمارية قديمة، وأول من تبناها من المسلمين هو السيد أحمد خان في الهند، وأخرجها إلى حيز الوجود مدعي النبوة غلام أحمد القادياني، ومن غير المستبعد أن تكون وراء هذه الفكرة يد قاديانية أو يد إنجليزية.[2]

3. الشيخ محمد رشيد رضا

الشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935م) هو التلميذ الوفي لمحمد عبده الذي كان يكثر من اشتراط التواتر، ومن التأويل البعيد والتعطيل لمعاني النصوص بدعوى أنها من المتشابهات. واستعمل من بعده تلميذه الشيخ رشيد رضا هذه الآليات، ولكن بنسبة أقل كما وكيفا.

يلجأ الشيخ رضا في نصرة ما يراه موافقا للعقل والعصر، للطعن في الأحاديث الصحيحة المتصادمة مع مرئياته: في السند أو في المتن، أو إخراجها عن معناها أو تعطيلها، أو ضربها بظاهر الآيات القرآنية وبغيرها من الأحاديث الصحيحة أو الضعيفة.

---

[1] حسين، خادم، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص116-117.

[2] ينظر الرد على هذه الفكرة: البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** (بيروت: دار الفكر، ط6، 1973م)، ص42. وإلهي بخش، خادم حسين، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، 119-120.

وهو في كل هذا يتذرع بما اتفق عليه المحدثون من قواعد الرفض أو التضعيف، حسب تطبيقاته ومرئياته، منها: القول بأنها من الإسرائيليات، أو أنها متعارضة مع القرآن، أو متعارض بعضها مع بعض، أو متعارض مع حكم الله، أو أنها مخالفة للمعهود والمألوف. كما استخدم في ذلك ما أوجده هو من قواعد الرد مثل أن الحديث كان له من دواعي التواتر ولم يتواتر بل بقي غريبا، أو أنه من قبيل الرواية بالمعنى، أو أنه من قبيل أخبار الآحاد، أو أنه لم يخرجه الشيخان في صحيحيهما، أو أنه ورد في أمر غيبي. كما سنراه في القضايا الآتية.

والشيخ ليس من منكري السنة، بل هو من القائلين بحجيتها، وقد نذر قلمه للدفاع عنها، ومعظم الآراء التي خرج بها الشيخ عن جمهور الأئمة كان مقصده فيها الذود عن الدين، والارتقاء به إلى مستوى العصر. إلا أن توقف حركة الاجتهاد ردحا من الزمن، وقلة الأعوان، وتبلد الأفهام، وكثرة الأعداء والطاعنين في الدين، وشراسة الحملة الغربية آنذاك على بلاد المسلمين، دفعت بالشيخ رضا إلى الإسراع والتسرع في الرد على الشبه المثارة، بكل ما طالته يده، ودفعته إلى التوسع في الذود عن الإسلام في كل علم وفن مهما كان مبلغ علمه فيه قليلا، مما أدى به إلى الخروج عن الجادة في كثير من المسائل، واختار له من الأسلوب ما ساعد على بروز اتجاه "الاكتفاء بالقرآن" فيما بعد؛ لأن من آرائه في عدالة الصحابة والسنة التي أحصيت من خلال تفسيره "تفسير المنار" ما يهولننا أمره. وهذا ملخص آرائه:[1]

1. السنة ليست دينا عاما:

يستنبط الشيخ رشيد رضا من نهي النبي ﷺ عن كتابة السنة، وعدم كتابة الصحابة لها أنهم لم يريدوا أن تكون السنة دينا عاما دائما كالقرآن؛ إذ لو كان كذلك

---

[1] من يريد التفصيل في موقف الشيخ من السنة فيراجع كتابي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثا** (نشر مركز البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط1، 2005م).

لما نهى النبي ﷺ عن كتابتها، ولجمع الراشدون ما كتب، وضبطوا ما وثقوا به، وأرسلوه إلى عمالهم ليبلغوه ويعملوا به، ولم يكتفوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور، وبهذا يسقط قول من قال إن الصحابة كانوا يكتفون في نشر الحديث بالرواية.[1]

ونجيب عنه بأن نظرة الشيخ إلى هذا النهي نظرة تجزيئية لا تليق بأمثاله. أما كان يعرف أن النبي ﷺ سمح لبعض الصحابة بكتابة السنة، خاصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي سمى مدونته "الصحيفة الصادقة" التي كتب فيها أحاديثه المسموعة من النبي ﷺ بدون واسطة؟ وما سمح بكتابة ما ألقاه في حجة الوداع لأبي شاه اليمني؟ وصحيفة علي التي اعترف بها كما سيأتي؟ وصحائف أخرى لبعض أصحاب النبي ﷺ الآخرين؟ ثم لم يكن معنى النهي ما ادعاه، بل وراءه حكم أخرى ذكرها العلماء، منها خشية التباسه مع القرآن الكريم في ظل عدم توافر الكتاب وأدوات الكتابة.

2. عدالة الصحابة أغلبية:

يرى الشيخ رشيد رضا أن عدالة الصحابة أغلبية، وليست مطردة؛ فقد كان في عهد النبي ﷺ منافقون. واستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (التوبة: 101). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (محمد: 30).[2]

ونجيب عنه بأن المنافق يخرج من مسمى الصحبة بسبب فقده شرطها، وهو الإيمان، ثم إن الدليل الذي تثبت به الصحبة تثبت به عدالة الصحابي. فقول الشيخ بأن

---

[1] رضا، رشيد، **تفسير المنار** (بيروت: دار المعرفة، ط2، د. ت)، ج9، ص929 وج10، ص768.

[2] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج9، ص506.

جميع الصحابة عدول، وعدالتهم أغلبية، فيه ما فيه من التناقض والتضاد.

3. مراسيل الصحابة وموقوفاقم غير مقبولة:

لا يقبل الشيخ مراسيل الصحابة، ولا يعتبر موقوفاقم التي لا مجال للرأي فيها في حكم المرفوع كما هو مذهب المحدثين؛ لأنهم ربما رووها عن كعب الأحبار ووهب بن منبه اللذين كانا يشيعان الإسرائيليات.[1]

قلنا: والعمل عند المحدثين على خلاف ما ذهب إليه الشيخ رضا؛ وذلك لأن علماء الاستقراء والتتبع مثل ابن الصلاح والنووي والسيوطي وغيرهم يقولون: "إن أكثر رواياقم عن الصحابة، وكلهم عدول، وروايتهم عن غير الصحابة نادرة، وإذا رووا عن غير الصحابة بينوه، بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليس بأحاديث مرفوعة، بل إسرائيليات أو حكايات أو موقوفات".[2] فرد جميع مراسيل الصحابة بمجرد ذلك الاحتمال "الربموي" أمر غير معقول، وغير موضوعي.

وأما موقفه من الحديث الموقوف الذي لا مجال للاجتهاد فيه بأنه ليس له حكم المرفوع لاحتمال تسرب الإسرائيليات إليه، فهذا الاحتمال نادر الوقوع؛ أي أنه استثناء وليس أصلا. لذلك حمل العلماء الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه على الرفع حملا للصحابة على السلامة، ولأن الظن الغالب يقضي برجحان رفعه، ولأن الأصل في مثل هذا الموقوف أنه متلقى عن الوحي، ولا خلاف أن ما ثبت كونه من الإسرائيليات فهو مستثنى من حكم الرفع. وعموما فالأحاديث التي بهذه الصفة قليلة، والشيخ رضا لم يلجأ إلى مثل هذا الرأي إلا تبعا لموقفه من مرسل الصحابي وابتنائه

---

[1] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج9، ص506.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **تدريب الراوي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، ج1، ص207. وانظر: ابن كثير، **اختصار علوم الحديث** كما في شرحه **الباحث الحثيث** للشيخ أحمد شاكر، ص41، وابن حجر، **النكت على ابن الصلاح**، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1404هـ)، ج2، ص548.

عليه، ولخوفه من الأحاديث التي يعدها من الغرائب والإسرائيليات.[1]

4. موقفه من حجية أخبار الآحاد:

يتلخص موقفه من حجية الآحاد في أنها حجة على من اطمأن قلبه إليها فيجب عليه التزامها، ولا سبيل إلى تعميمها على غيره؛ لأن الآحاد ظنية الثبوت وليست بقطعية. واستدل عليه بما يلي:

أ. إن الصحابة لم يكونوا يكتبون كل ما يسمعون من الأحاديث، إلا قليلا من بيان السنة كصحيفة علي، وأنهم كانوا يدعون للقرآن والعمل به، وللسنة العملية المتبعة المبينة للقرآن.

ب. لم يقبل الإمام مالك أن يحمل الناس على العمل بكتبه، ولا بالموطأ الذي هو أصح ما رواه من الأخبار المرفوعة.

قلت: دليله الأول يشير إلى أن ما كان مكتوبا فهو حجة، وما لا فلا، ولا تلازم بين حجية الشيء وكتابته، فهناك أمور أخرى تعمل عملها لحجيته، مثل ثقة الكاتب، فالمكتوب إذا لم يكن كاتبه ثقة لا يقبل. وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى نقاش وإقامة دليل.

وأما عدم قبول الإمام مالك حمل الناس على العمل بما في الموطأ فلم يكن لعدم اعتقاده بأن خبر الآحاد لا يفيد الوجوب على العموم، وإنما لأنه ليس مجموعة أحاديث فقط، بل فيه فقهه واجتهاده أيضا، لا سيما تقديمه عمل أهل المدينة وروايتهم على من سواهم، فليس من المعقول أن يقبل الإمام مالك حمل الناس جميعا على العمل بما فيه؛ لأن الناس قد وصل إليهم أحاديث وآثار أخرى، وأخذوا بما سبق إليهم، وبهذه الحجة استطاع الإمام مالك ثني أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون عن

---

[1] ابن شقير، شفيق بن عبد الله، **موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث** (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1998م)، ص251.

عزمهم إلزام الناس العمل بما في الموطأ، وترك ما سوى ذلك.[1]

وأما الأحاديث الواردة في أشراط الساعة، والدجال، والجساسة، والمهدي، ونزول عيسى عليه السلام، وانشقاق القمر، وسحر النبي ﷺ، وسجود الشمس تحت العرش، وعجب الذنب، ومس الشيطان لبني آدم، وشق صدر النبي ﷺ، وإسلام شيطانه، وربا الفضل، وشرطية فقد الماء للمسافر للتيمم، وتحريم الحمر الأهلية والسباع والطيور المفترسة فإنه قد رفضها كلها.[2]

4. الدكتور توفيق صدقي

الدكتور توفيق صدقي -المتوفى سنة 1920- طبيب مصري، وليس من أهل الاختصاص في العلوم الشرعية، توفي 1920م. نشر مقالين في مجلة المنار[3] بعنوان "الإسلام هو القرآن وحده"، يستبعد فيهما حجية السنة متعللا بما تذرع بها القرآنيون من آيات، منها قوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ (الأنعام: 38)، وقوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ (النحل: 89)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾**﴾ (الحجر: 9) بأن الله تكفل بحفظ القرآن دون السنة، ولو كانت دليلا وحجة كالقرآن لتكفل بحفظها. وقال: لو كانت السنة حجة لأمر النبي ﷺ بكتابتها، ولعمل الصحابة والتابعون من بعد على جمعها وتدوينها. والثابت عن النبي ﷺ أنه نهى عن كتابتها وأمر بمحو ما كتب منها، وكذلك فعل الصحابة والتابعون، فقد أحرق أبو بكر رضي الله عنه خمسمائة حديث كتبها (رواه الحاكم، ولا يصح)، وكذلك

---

[1] ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري الزهري، **الطبقات الكبرى، تحقيق زياد محمد منصور** (القسم المتمم)، **(المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1408هـ)**، ص440 وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، **حلية الأولياء** (بيروت: دار الكتب العربي، ط4، 1405هـ)، ج6، ص331، 332.

[2] يراجع له كتابي **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها** (كوالمبور: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط1، 2005م).

[3] **مجلة المنار**، العددان، 7، 12 من السنة التاسعة.

فعل زيد بن ثابت إذ دخل على معاوية، فسأله معاوية عن حديث فأخبره به، فأمر معاوية إنسانا بأن يكتبه، فقال له زيد: "إن رسول الله أمرنا ألا نكتب شيئا من حديثه"، فمحاه. ولقد عزم عمر مرة أن يكتب السنن ثم عدل عن ذلك، وقال: "إني كنت أريد أن أكتب السنن فإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا". وكذلك طلب علي ﵁ ممن كتب شيئا من الحديث أن يمحوه، وقد محا ابن مسعود صحيفة من الحديث كتبت عنه. وكره كتابة الحديث من التابعين علقمة وعبيدة والقاسم بن محمد والشعبي والنخعي ومنصور ومغيرة والأعمش.

وزعم الدكتور صدقي أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول ﷺ، وأنها لو كانت عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها، ولتسابقوا في نشرها بين العالمين، ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل، أو مثبط لهم. كما زعم أن عدم كتابة شيء من الأحاديث إلا بعد عهده ﷺ بمدة كاف في حصول التلاعب والفساد الذي حصل".[1] ويقول: "عدم إرادة النبي ﷺ لأن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر: 9). ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لأمر النبي ﷺ بتقييده كتابة، ولتكفل الله بحفظه، ولما جاز لأحد روايته على حسب ما أداه إليه فهمه".[2]

5. الأستاذ أحمد أمين

الأستاذ أحمد أمين كاتب وأديب معروف، خريج القضاء الشرعي، وكان عميد كلية الآداب، وقد ألف عدة كتب مثل فجر الإسلام وضحاه وظهره. أفرد الأستاذ أمين في كتابه "فجر الإسلام" فصلا خاصا بالحديث، ذكر فيه أن السنة لم تدون في عهد

---

[1] **مجلة المنار**، ج9، ص203.

[2] **مجلة المنار**، ج9، ص203.

الرسول ﷺ، بل كان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم فقط. ثم تعرض للوضع في الحديث، واستظهر "أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول ﷺ، فحديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زور فيها على الرسول". وأشار إلى أن دخول الشعوب في الإسلام كان له أثر كبير في الوضع الذي بلغ في الكثرة بعد أن اختار الإمام البخاري صحيحه من ستمائة ألف حديث كانت شائعة في عصره. ثم ذكر أهم الأمور التي حملت على الوضع، ومنها تغالي الناس في إعراضهم عن العلم إلا ما اتصل بالكتاب والسنة اتصالا وثيقا. وانتهى من ذلك إلى بيان جهود العلماء في مكافحة الوضع، وذكر ما يؤخذ عليهم من أنهم لم يعنوا بنقد المتن عشر ما عنوا بنقد السند. ثم تكلم عن أبي هريرة فقال: إنه لم يكن يكتب، بل كان يحدث من ذاكرته، وأن بعض الصحابة شكوا في حديثه، وبالغوا في نقده، ثم ختم هذا الفصل بالأدوار التي مر بها تدوين السنة، حتى عصر البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب الستة".[1] ويضيف: "وحسبك دليلا على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال: "لم يصح عنده منها شيء، قد جمع فيها آلاف الأحاديث، وأن البخاري وكتابه يشتمل على سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة قالوا إنه اختارها وصحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره"[2].

خلاصة البحث

رأينا أن العصرانية والعقلانية اسمان لمسمى واحد، سعتا تحت تأثير دراسات المستشرقين إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي

[1] أحمد أمين، **فجر الإسلام** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1996م)، ص258. وانظر: محمد طاهر حكيم، **السنة في مواجهة الأباطيل**، كتاب من إصدارات **دعوة الحق**، سلسلة شهرية، السنة الثانية، 1402هـ، ربيع الأول، العدد 12 (مكة المكرمة: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي)، ص58-59.

[2] أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ص258.

المعاصر بالتنازل عن كثير من تعاليم الإسلام، كما هو حال دراسات العصرانيين من الهنود رائدهم السيد أحمد خان (1817-1898م) في الديار الهندية، وأصحاب المدرسة العقلية ورائدهم محمد عبده وتلاميذه في العالم العربي.

اعتبر سيد أحمد خان القرآن وحده الأساس لفهم الإسلام. ولا يمكن الاعتماد عنده على الأحاديث، ولا الاحتجاج بها، لشكوك وشبهات حولها، منها: تناقلها بعد وفاة الرسول ﷺ على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب التي كان مبناها روايات الذاكرة، والبعد الزمني كفيل بمزج الزائد بها وإضافة الجديد إليها، وتدوينها في القرن الثاني من الهجرة في عصر مضطرب بالصراعات السياسية والاختلافات الدينية مما كان له أثره في كثرة الأحاديث الموضوعة. ثم ما دون في كتب الحديث إنما هو ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي الصادر من شفتيه ﷺ والمعبر به، من وفاق أو خلاف، وليس من العجب أن يخطئ أحد الرواة في فهم الحديث، مما يكون سببا في ضياع المفهوم الصحيح. ورفض معايير المحدثين لنقد الحديث، ودعا إلى استخدام ما سماه "مقاييس النقد العصري"، وهي ما يتفق نظره مع روح القرآن. وأن يكون قول الرسول بالجزم واليقين، وأن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوي هي الكلمات النبوية بعينها، وأن لا يكون للكلمات التي أتى بها الرواة معان سوى ما ذكره الشراح، وما يتفق مع العقل والتجربة البشرية، وما لا يناقض حقائق التاريخ الثابتة. ومن هنا فهو يقبل من الأحاديث: المتواترة بالتواتر اللفظي دون إخضاعها للنقد. ويقبل من المشهورة ما تخضع للنقد على معياره السابق. وأما أحاديث الآحاد فهو لا يميل إلى قبولها مطلقا. وقد أصبح منهجه ذاك في شأن الحديث مدرسة فكرية تأثر بها تلاميذه وخلفاؤه إلى اليوم، ومن أشهر تلاميذه جراغ علي، وأمير علي، وخدا بخش الشاعر، وغلام أحمد برويز، وخليفة عبد الحكيم، ومولانا محمد علي جوهر أحد قادة الحركة الأحمدية.

أما ما يتعلق بموقف السيد جمال الدين الأفغاني من السنة أو الحديث فأنا أجده على مسلك جمهور الأمة الإسلامية، و لم يحد عنه قيد أنملة.

وأما رائد المدرسة العقلية الشيخ محمد عبده فقد كان نسخة ثانية في مصر للسيد أحمد خان في الهند، فدعا إلى فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، وينابيع الإسلام في سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه هي الكتاب وقليل من السنة في العمل، ولما كان الثابت المتواتر من السنة قليلا فقد صرح الشيخ في تفسير سورة الفاتحة "أنه يجب أن يكون القرآن أصلا، تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين".

والرائد الثاني للمدرسة العقلية هو الشيخ رشيد رضا (1865-1935م)، وهو التلميذ الوفي لمحمد عبده. لجأ في نصرة ما يراه موافقا للعقل والعصر، والشيخ ليس من منكري السنة، بل هو من القائلين بحجيتها من حيث الجملة. إلا أنه قال: إن السنة ليست دينا عاما بحجة نهي النبي ﷺ عن كتابة السنة، وعدم كتابة الصحابة لها. وعدالة الصحابة عنده أغلبية وليست مطردة؛ إذ كان في عهد النبي ﷺ منافقون. مراسيل الصحابة وموقوفاتهم غير مقبولة؛ لأنهم ربما رووها عن كعب الأحبار ووهب بن منبه اللذين بثا الإسرائيليات. وأخبار الآحاد عنده حجة على من اطمأن قلبه إليها، لا على غيره لأنها ظنية الثبوت. وأحاديث أشراط الساعة أثبتها من حيث الجملة، وأنكر أحاديثها من حيث التفصيل.

وأما الدكتور توفيق صدقي فهو طبيب مصري، قال: إن "الإسلام هو القرآن وحده"، واستبعد حجية السنة متعللا بما تذرع بها القرآنيون والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، وبأن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول ﷺ.

وأما الأستاذ أحمد أمين فهو كاتب وأديب معروف. ذهب إلى أن السنة لم تدون في عهد الرسول ﷺ، بل كان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم فقط. واستظهر أن الوضع في الحديث حدث في عهد الرسول ﷺ، بحديث غير ثابت. وبدليل أن الإمام البخاري اختار صحيحه من ستمائة ألف حديث كانت شائعة في عصره. واتهم المحدثين بأنهم لم يعنوا بنقد المتن عشر ما عنوا بنقد السند. وأن بعض الصحابة شكوا